

إجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة

(٢ - ٥ هـ / ٦٤٧ مـ - ٦٣٧ مـ)

أ. د. محمد بن فارس الجميلي
كلية الآداب - قسم التاريخ
جامعة الملك سعود

مقدمة:

إن المدف من هذا البحث هو محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بإجلاء الرسول ﷺ لليهود من المدينة. هل مبعث ذلك أسباب دينية، أم عرقية، أم مادية، أم أسباب موضوعية خالصة؟

من المعلوم أنه حينما قدم النبي ﷺ المدينة بذل جهوداً صادقة من أجل التعامل مع جميع الأعراق والديانات في ذلك المجتمع السياسي الناشئ، وأن ما عرف بصحيفة المدينة تكشف بوضوح مقدار الجهود الصادقة التي بذلها رسول الله ﷺ من أجل دفع اليهود ضمن مجتمع المدينة الجديد، ففقد جاء في الصحيفة: " وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة... وأن يهود بني عوف أمة المؤمنين للهود دينهم والمسلمين دينهم ". لِكَنْ يُبَيَّنُ أَنَّ الْأَحَادِيثُ التَّارِيخِيَّةُ الْمُتَلَاقَةُ فِي الْمَدِينَةِ تَجَاوزُ هَذِهِ النَّظُرَةَ الْمُتَسَامِحةَ تَجَاهَ الْيَهُودِ مَا أَدَى أَخْيَرًا إِلَى إِجْلَاصِهِمْ عَنِ الْمَدِينَةِ.

وهذا هو موضوع البحث.

الوجود اليهودي في يثرب:

ليس لدينا تاريخ محدد وثابت عن بداية وجود اليهود في يثرب ولا حتى عن أصل أولئك اليهود^(١). ولكن لا يأس من الإشارة إلى ما ذكرته بعض المصادر عن نزوح بعض القبائل اليهودية إلى يثرب واستيطانها. ذكر ابن رسته (توفي بعد سنة ١٠٣هـ) وهو ربما يعد من أقدم المصادر التي حاولت الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بتاريخ وجود اليهود في يثرب، إلى أن وجودهم فيها يعود إلى أيام النبي موسى عليه السلام، عندما أرسل حملة عسكرية من بني

(١) انظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، د.م، ج ٦، ص ٦١٥ - ٦٥٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م؛

فكان هذا أول سكن اليهود للجان بعد العمالقة^(١)،

شم خرجت قريظة وأخوتها بنو هدل وعمرو بن الخزرج بن الصبريج وبنو النضير من الشام إلى بئرب حيث تبعوا اليهود الأوائل، فنزلوا العالية على واديين يقال لهما مذنيب ومهزور، فنزلت بنو النضير مذنيب واتخذوا عليه الأموال^(٣)، وكانوا أول من وزلت بنو قريظة وهدل على مهزور واتخذوا عليه الأموال^(٤)، احتقر بشرب الآبار واغترس الأموال. شم يحيى بن رسته إلى هذه القبائل جماعات آخر من اليهود وهي: بنو ضخم وبنو زعرا وبنو ماسكة وبنو القمعة وبنو زيد الملات، وهم كما يقول ابن رسته رهط عبد الله بن سلام^(٥) وبنو قينقاع وبنو حجر وبنو شعلة وأهل زهرة وأهل زيالا وأهل يثرب وأهل القصيص وبنو نافضة وبنو عكبة وبنو مذالة^(٦).

أبن رسته فيما يتصل ببداية الوجود اليهودي بالحجاز وعلاقته بالحملة التي يقال
ويقدم أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٦٥٣هـ) رواية لا تختلف كثيراً عن رواية
أنه قد أرسلها النبي الله موسى لغزو العمالق^(٤).

ولكن المعلم أحد وجوه الاختلاف بين روايتي ابن رسته والأصفهاني، هو أن

(١) أحمد بن عمر بن رسته: **كتاب الأعلاق النفسية** وليله **كتاب البلدان المليقون**, تأليف أحمد بن يعقوب المعموني: ليدن, برلين, ١٨٩٢م, ص ٦١ - ٦٣؛ علي بن أحمد السمهودي: **وفاء الوفاء** بتألّف دار المصطفى، تحقيق محمد حجي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء

(٦) التراث العربي، ١٤٠٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٥٩٤ - ١١١.
ابن رسته: الأعلاق، ص ١٦١؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ص ١٦١. ومبنيب ومحذور واديان يبي
الجهة الشرقية من المدينة تسمى العالية. انظر عائق غيث البلادي: معجم العالم الجغرافية في
السيرة النبوية، المطبعة الأولى، مكة، دار مكتبة الطباعة والنشر، ٢٤٠٤هـ / ١٩٨٢م، ص ٥٢؛
أحمد ياسين الخباري: تاريخ معالم المدينة المنورة قدّيمها وحديثها، الرياض، منشورات الأمانة
العامة للتحفظ، مائة عام، تأسيس، الماكية، ١٤٠٤هـ / ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٠٠.

(٢) ابن رسته: **الأدلة**, ص ٦١.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني على بن الحسين: **الأغاني**, تحقيق عبد المستوار أحمد فراج, بيروت, دار
التنمية, ١٤٢٨/١٩٠٧, ج ٢, ٩٧-٩٨.

الأصفهاني يعزّز انتقال بني النضير وقريظة وبنو هدل من الشام إلى يثرب إلى حادثة إستيلاء الروم على بلاد الشام وتغلبهم على اليهود^(١) بينما ابن رستة يربط بين نزوح هذه القبائل وحملة النبي موسى على الحجاز.

ويوضح ولفنسون حادثة انتقال اليهود من الشام إلى الحجاز بقوله، إنه بعد حرب اليهود والروماني في سنة (٧٠م) التي انتهت بخراب فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتت اليهود في أصقاع العالم قد صدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب^(٢) وكذلك فإن موسيـه جـل Gil Moshe يـمـيل إلى القول أن اليهود دخلوا الحجاز واستوطنـوها على فترـتين من فترـات الغزو الرومانـي لـفلـسـطـين وذلك في سـنة (٧٠م) واحـتمـالـاً في سـنة (٥٢١م)^(٣).

واضح من هذا أن كلا الباحثين يرفضان ضمنـياً قبلـ الروايات القائلـة إن الـجـودـ اليـهـودـيـ فيـ الحـجازـ يـعودـ إـلـىـ أـيـامـ نـبـيـ اللهـ مـوسـىـ عـلـيـهـ السـلامـ علىـ كـلـ، إـذـاـ كـانـ مـنـ الـمـهـكـنـ التـسـلـيمـ بـأـنـ الـيـهـودـ دـخـلـواـ الـحـجازـ فـيـهـاـ بـيـنـ عـامـيـ (١٣٥٠ـ ١٣٥١ـ)ـ وـهـوـ اـفـتـرـاضـ لـاـ يـخـلـوـ مـنـ الصـحـةـ لـاـرـتـبـاطـهـ بـأـحـدـاـثـ تـارـيـخـيـةـ وـقـعـتـ فـيـ الشـامـ لـاـ يـمـكـنـ تـجـاهـلـهـ، إـنـهـ لـيـسـ مـنـ السـهـلـ التـسـلـيمـ أـيـضاـ بـالـرـوـاـيـاتـ التيـ تـرـجـعـ وـجـودـ الـيـهـودـ فـيـ الـحـجازـ إـلـىـ مـاـ قـبـلـ الـمـيـلـادـ أـيـ إـلـىـ أـيـامـ نـبـيـ اللهـ مـوسـىـ عـلـيـهـ السـلامـ لأـسـبـابـ يـطـولـ شـرـحـهـ.

وبـالـنـسـبـةـ لـلـسـؤـالـ المـتـعـلـقـ بـأـصـولـ هـذـهـ الـقـبـائـلـ وـالـبـطـونـ أـكـانـتـ عـبـرـانـيـةـ الأـصـلـ أـمـ أـنـهـاـ قـبـائـلـ عـرـبـيـةـ تـهـوـدـتـ؟ـ فـيـلـهـ لـيـسـ بـالـمـسـطـطـاعـ تـقـديـمـ إـجـابـةـ شـافـيـةـ عـنـ هـذـاـ السـؤـالـ، حـيـثـ إـنـ أـسـمـاءـ هـذـهـ الـقـبـائـلـ وـالـبـطـونـ أـسـمـاءـ عـرـبـيـةـ، وـقـدـ ذـكـرـ الـيـهـودـيـ

(١) الأصفهاني: الأذاني، ج ٢٢، ص ٩١.

(٢) إسرائيل ولفسنون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، مصر، مطبعة الاعتماد، ٤٥٣٩هـ / ١٩٣٩م، ص ٩.

(٣) M. Gil, Ibid, p.220.

(ت: ٤٨٢هـ) في تاريخه أن أغلب الطوائف اليهودية في الحجاز من العرب المتهددة^(١). لذلك فإن Margoliouth لم يجد في أسماء هذه الجماعات اسمًا يحمل الملامع العبرانية غير اسم قبيلة زعوراء، وتابعة على ذلك جواد علي^(٢).

ومن الطريف الإشارة هنا إلى أن زعوراء، بطن من بطون الأوس من ولد جشم من بنى عبد الأشهل^(٣). لذلك فإنه ليس سهلاً التوفيق بين زعوراء اليهودية وزعوراء بنى عبد الأشهل^(٤)) ولابد أن الأمر لا يخلو من لبس. أما موشية جل فلا يستبعد وجود صلة بين القبائل البدوية المشهورة من جذام في أرض مدين الذين يعرفون بأنباء شيون و كذلك يهود الحجاز وذلك لأوجه الشبه الكبيرة بينهم^(٥).

ولكن فيما يتعلق بأصل قبيلتي بنى النضير وقريبة، فإن البعضي وهو أحد أقدم المصادر التي ناقشت أصلهم، يذكر أن لهم أصولاً عربية، حيث أن بنى النضير فخذل من جذام، قيل إنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير، فسموا به^(٦). وكذلك بنو قريطة هم حسب رأي البعضي فخذل من جذام، ويقال إن تهودهم كان في أيام السهؤل بن عادياً سيد تيماء، ثم نزلوا بجبل يقال له قريطة هنسبيوا إليه^(٧). ولم يقدم البعضي دليلاً واحداً يثبت صحة ما ذهب إليه.

(١) أحمد بن واضح البعضي: تاريخ البعضي، بيروت، ٢٠١٤هـ، ج ١، ص ٢٥٧.
وقال البعضي في الموضع نفسه: "وتهود قوم من بنى الحمار بن كعب، وقوم من غسان وقوم من بهود خمير وقريبة والنضير، وتهود قوم من بنى الحمار بن كعب، و القوم من البيمن مجاورتهم جذام".
انظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٥٥.

(٢) محمد بن الحسن بن دريد: الإنشقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجليل، ١٤١٤هـ / ١٩٩١م، ص ٣٨؛ محمد بن علي بن حزم: جمهرة أنساب العرب، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ص ٣٣٣.

(٣) M. Gil, Ibid., p.218.

(٤) البعضي: تاريخ، ج ١، ص ٩٤.

(٥) البعضي: تاريخ، ج ١، ص ٢٩. حسب علمي لا يوجد في شبه جزيرة العرب جبال تعرف بجبل القريبة أو النضير راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، وكذلك الروض المطلار للحميري.

وعلى النقيض من ذلك فإن ابن رسته يرجح نسب قريظة والنضير إلى النبي الله هارون بن عمران عليه السلام^(١) وتاتعة في ذلك أبو الفرج الأصفهاني، فذكر أن بني قريظة والنضير يقال لهم: المكاهن، وأنهم من ولد المكاهن ابن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليه السلام، وكانوا بنواجي يشرب بعد وفاة النبي الله موسى^(٢).

وبحسب ما ذكره جواد علي فإن كان لا من نولد^ك Noldeke وأوليري Oleary لا يستبعدان كون بني النضير وقريظة من طبقة الكهان في الأصل، هاجروا من فلسطين على أثر الحوادث التي وقعت فيها فسكنوا في هذه الديار، أي الحجاز^(٣).

أما بنو قينقاع فهم القبيلة الثالثة من القبائل اليهودية المشهورة التي كانت في المدينة عندما هاجر إليها الرسول ﷺ ولا نعرف الشيء الكثير عنها، سوى أنها إحدى القبائل اليهودية الثلاث بالمدينة، وأنها أول قبيلة يهودية نقضت عهدها مع رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر، وأن أحد أحبّارها وأصحاب السيادة فيها، الحصين بن سلام، كان أول من أسلم من يهود، وأن رسول الله ﷺ أسماه عبد الله^(٤).

ولعل ما يرجح كون بني قينقاع عبرانيين أصلاً هو ما جاء في ترجمة عبد الله بن سلام عند ابن حجر، الذي لم يذكر مصدره، فقد قال عنه: "عبد الله بن سلام أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام،

(١) ابن رسته: الأدلة، ص ٦١.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج ٢، ص ٩٧.

(٣) انظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٢٥.

(٤) انظر عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وأخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، ج ٢، ص ٦٦٣ - ٦٦٤، ٧٦١ - ٧٦٢، ج ٣، ص ٥٠ - ٥٣.

حليف القوائل من الخرز، الإسرائيلى ثم الأننصاري، كان حليفاً لهم، وكان من بني قينقاع^(١).

أما أم المؤمنين صفية بنت حبي (ت: ٥٢ هـ) فنسبها في كتابة القبيلتين ببني النضير وبني قريظة، حيث إن أباها حبي بن أخطب من بني النضير وأمها بربة بنت سموأل من بني قريظة. وحسب بعض الروايات فإن رسول الله ﷺ قد شهد لها بصحبة نسبها الإسرائيلى وعراقة أصلها، فعندها استتب أم المؤمنين عائشة بصفية، قال رسول الله ﷺ لصفية: "ألا قلت أبى هارون وعمى موسى"^(٢).

لذلك فإذا كانت صحة نسب البطون اليهودية ومصیرها لا يزال محل خلاف بين ذوي الاختصاص من المؤرخين وغيرهم فإن صحة نسب يهود بني النضير وقريظة وقينقاع أقل إشكالاً، فهم بانيا من أهل الكتاب من بني إسرائيل في المجاز. وهذا على الأقل ما يفهم من بعض تصوصص القرآن الكريم وما يبرر عن الرسول ﷺ.

١- إجلاء يهود بني قينقاع:

بنو قينقاع أحدى القبائل اليهودية الثلاث المشهورة في المدينة، وكانوا حلفاء للخرز وقاتلوا إلى جانبهم ضد إخوانهم من يهود قريظة يوم بعاث^(٣). ثم لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وادع يهودها وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم

(١) أحمد بن حجر العسقلاني: الإصلاح في تبيير الصحابة وبها مشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر التميمي القرطبي: نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بمصر ١٤١٠هـ، بيروت، دار صادر، د. ت، ج ٢، ص ٢٠٢، (ت: ٧٢٤).

(٢) انظر المفرد تمامه وترجمة صفية بنت حبي لدى محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د. ت، ج ٨، ص ١٢٠ - ١٢١؛ وانظر الحديث المتعلق بنسب صفية عند أحمد بن حنبل: المسند، الفتاوى، مؤسسة قرطبة، د. ت، ج ٣، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) انظر ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٣٤ - ٥٠؛ وانظر تفاصيل أحداث يوم بعاث عند الأصفهاني: الأغاني، ج ١٧، ص ١٢٢ - ١٢٣.

واشترط عليهم^(١). وذكر ابن حجر في الفتح نقلاً عن ابن إسحاق أن النبي ﷺ وادع اليهود لما قدم المدينة وامتنعوا من اتباعه فكتب بينهم كتاباً و كانوا ثالث قبائل: قيئقان والذنبار وقريبة^(٢).

وذكر الواقدي رواية عن ابن كعب القرظي أكثر تفصيلاً، قال: "ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وأدعته اليهود كلها، وكتب بينه وبينها كتاباً، وألحق رسول الله ﷺ كل قوم بخلافهم وجعل بينه وبينهم أماناً، وشرط عليهم شرطًا، فكأن فيما شرط ألا يظهروا عليه عدواً"^(٣).

ويبدو أن رواية الواقدي هذه هي إشارة لكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة لتنظيم العلاقة بين سكانها من الأنصار والمحاجرين واليهود وبقية العناصر السكانية الأخرى، وقد عرف ذلك الكتاب بصحيفه المدينة^(٤). حيث وادع فيه الرسول ﷺ اليهود وعاهدتهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم^(٥).

ويظهر من روایات السیرة أن قبلةبني قيئقان كانت أول القبائل اليهودية

(١) ابن هشام: السیرة، ج ٢، ص ٧٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد هؤاد عيد الباقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٧م، ج ٧، ص ٥٣؛ لم يرد في سيرة ابن هشام إشارة إلى القبائل اليهودية الثلاث بل اكتفى بالتفعيم، حيث قال ابن إسحاق: "وادع اليهود وعاهدهم"، ج ٢، ص ٧٤.

(٣) محمد بن عمر الواقدي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم المكتبة، ٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٧.

(٤) انظر بن هشام: السیرة، ج ٢، ص ٧٤ - ٥٠؛ وانظر محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للمهد النبوى والخلافة الراشدة، الطبعة الرابعة، بيروت، دار النفالش، ٢٠٤٠هـ / ١٩٨٣م، ص ٥٧ - ٦٧؛ وانظر مناقشة بنود الصحيفة لدى محمد بن فارس الجميل: النبي ويهود المدينة، الطبعة الثانية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٧٧٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٥٧ - ٦٧.

(٥) ابن هشام: السیرة، ج ٢، ص ٧٤؛ الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٧.

التي أسلم بعض أفرادها إما عن إيمان ويقين مثل حبرهم عبد الله بن سلام^(١) أو تعوداً بالإسلام وهم يضمنون النفاق. وقد ذكر ابن إسحاق ثانية من كبار أخبارهم الذين اشتهروا بالنفاق^(٢).

إن المتتبع للعلاقة بين الرسول ﷺ وبين قبائله في المرحلة الأولى يظن أن الأمر ربما ينتهي بإسلام معظمبني قبائله لأن سيدهم وكبير أخبارهم عبد الله بن سلام كان قد أعلن إسلامه في الأيام الأولى المقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولكن الغريب في الأمر أن العلاقة بين الطرفين لم تتطور أو تصل إلى المستوى المرجو بل سارت على النقيض من ذلك!

إن أول الروايات التي تتعلق بها حديث بين الرسول ﷺ وبين قبائله ما ذكره ابن إسحاق من أنه فيما بين بدر وأحد جمع رسول الله ﷺ ببني قبائله في سوادهم، ثم قال: يا عشر يهود أخذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعم، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أننينبي مرسلاً تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليّكم". قالوا: يا محمد إنك ترى، أنا قوم لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنما والله المئن حاربناك لتعلمنا أنا نحن الناس^(٣).

ثم ذكر ابن إسحاق آيتين من سورة آل عمران وقال أنهما نزلتا في بني قيادة وهمما قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَمُّلُوْنٌ﴾ آل عمران: ٢١. وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانُوكُمْ أَيْةٌ يَعْتَثِيْنَ﴾ آل عمران: ٣١.

ثم يردف ابن إسحاق قائلاً: إن عاصم بن عمر بن قاتمة حدثه أن بني قبائل

(١) ابن هشام: السيدة، ج ٢، ص ٦٢٦ - ٦٤٠.

(٢) ابن هشام: السيدة، ج ٢، ص ص ٧١٧ - ٧٥٧؛ وقارن أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، مصر، دار المعارف، د. ت، ج ١، ص ص ٢٨٢ - ٢٨٥.

(٣) ابن هشام: السيدة، ج ٢، ص ٥٠؛ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، تحقيق: كمال بوسن الحوت، الطبعة الأولى، بيروت، دار الم Jian ومؤسسة الكتب الثقافية، ٩٤٠٤هـ / ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٧٠.

كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد. فمحاصرتهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه. ثم يشير ابن إسحاق بعد ذلك إلى تدخل عبد الله بن أبي بن سلول لصالحبني قينقاع، حيث من عليهم الرسول ﷺ وقال لابن أبي، "هم لك" وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة^(١).

من الملحوظ أنه في أثناء عرض ابن هشام لرواية ابن إسحاق المتعلقة ببني قينقاع بضميف في السياق رواية لمعبد الله بن جعفر بن المسور بن مخربة عن أبي عون لم ترد عند ابن إسحاق ومفادها أن امرأة من العرب ذهبت إلى سوق ببني قينقاع وجلسَت إلى صائغ هناك فجعل اليهود يرددونها على كشف وجهها فأبَت ثم عمد الصائغ إلى طرف ثوبها ففقدَه إلى ظهرها، فلما قامَت انكشفت سواعتها فخرَّجَتْ كُوَاها، فوثبَ رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديًّا وشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه فغضب المسلمين، فوقَ الشريينهم وبين بني قينقاع^(٢). وهذا الخبر لا يخلو من إشكال من حيث انقطاع سنته.

ويقدم الواقدِي أكثر من رواية لتفصير سبب الصدام الذي وقع بين النبي ﷺ وبني قينقاع. الرواية الأولى ينتهي سندُها بابن كعب القرظي وهي لا تختلف كثيراً في تفاصيلها عن رواية عبد الله بن جعفر، التي ساقها ابن هشام ومفادها أنه لما عاد رسول الله ﷺ من بدر (أهـ). منتَصراً بفت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد^(٣).

أما الرواية الثانية للواقدِي التي نقلها عن الزهرى عن عروة، فهي تكاد تكون على النقيض من الرواية الأولى، قال: لما نزلت هذه الآية: «إِنَّمَا تَحَاوِنُ مِنْ قَوْمٍ حِيَاتَهُ فَلَيُذْلِلُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخَالِقِينَ» [الأفال: ٨٥].

(١) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ١٥ - ٥٢.

(٢) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ١٥.

(٣) الواقدِي: المغاربي، ج ١، ص ١٧٦.

سار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية، فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار إلى هلال ذي القعدة سنة (٤٦) حتى قذف الله في قلوبهم الرعب. قالوا: أهنتنن وتنطلق؟ فقال رسول الله ﷺ لا، إلا على حكمي! هننزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم فریضوا. قال: فـ كانوا يكتفون كثافاً... ثم توسيط في شأنهم عبد الله بن أبي بن سلول فأطلقا وـ كانوا أربعينأة داع وـ الائمة حاسر. وقال رسول الله ﷺ: لعنة الله ولعنه معهم وأمر بهم أن يحلوا من المدينة^(١).

ليس في الروايات التي سبق عرضها ما ينبيء على وجه دقيق عن طبيعة الجرم الذي ارتكبه اليهود ببني قينقاع، حيث إن قصة المرأة في سوق بني قينقاع لا تعدد من الناحية المنطقية سبباً كافياً لمعاقبة بني قينقاع. أما أن يجاهر اليهود، بعد انتهاء للرسول ﷺ وأصحابه بعد مرجمعه من بدر ممنتصراً ويستدرجوه للحرب فهو في نظري أمر مستبعد، فلو أن ذلك تم قبل يوم بدر لأمكن قبوله ولو تم بعد غزوة أحد لأصبح أكثر قبولاً لسمى أنا وضع الرسول ﷺ السياسي أصبح حينذاك حرجاً وذلك من الناحية العسكرية على الأقل فقد أضحي أقل شوّة منه في يوم بدر مما أغنى الأعداء بالليل من هيبة المسلمين^(٢). أما بعد بدر فإن الأمر صار مختلفاً تماماً ومن المستهجن أن يحدث مثل هذا التصرف من اليهود لأنه يدل على السفه وقصر النظر. ثم ماذا فعلوا بعد أن أغاروا الرسول ﷺ بقتالهم؟ لقد نبذوا العهد، وأعلنوا الحرب، وأغافلوا دونهم أبواب حصونهم، وهل تكون الحرب بهذه الصفة؟ أي أن يعتصمو بحصونهم ويفرضوا على أنفسهم الحصار حتى يستسلموا الحكم الرسول ﷺ.

إن أمربني قينقاع وما وقع منهم تجاه المسلمين وما نتج عن ذلك من عقوبة

(١) الواقدى: المغازي، ج ١، ص ١٧٣ - ١٧٨.

(٢) انظر مثلاً يوم الرجيع سنة ٩هـ، وكذلك بشر معونة في صفر سنة ٩هـ عند ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ١٧٨، ١٩٣، ١٩٦.

لهم لا يزال في نظر أي باحث مدقق بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء، ومن المؤسف أن المصادر المتوافرة للبحث حالياً لا تسعف في الخروج برأي دقيق حول ما حدث، ولابد أنهم قاموا بجرائم كبيرة أكبر مما تذكره المصادر حتى استحقوا مصادرة الأموال وتجريدهم من السلاح والجلائم عن البلاد^(١). بل قيل إن الرسول ﷺ قد هم بقتلهم^(٢). فمن المحتتم أنه في أثناء إنشغال الرسول ﷺ في غزوة بدر وبعد عودته منها أدرك مدى خطورة محاولةبني قينقاع المسلمين في المدينة، وردهما أنه قد بدر منهم في ذلك الوقت ما يبيّن عن ذلك إذ لا يستبعد أنهم كانوا عيناً للعدو على المسلمين يدلونه على عوراتهم ويضطجعون أسراراً لهم كثما كانوا يسعون للدس بين المهاجرين والأنصار، مما أدى إلى تأزم الأمر بين الفريقين حتى أصبح أقل حادث - كحادث السوق مع المرأة - كفيلة بالغليان الشعبي. لهذا قاتل الرسول ﷺ بطريقهم من المدينة. وغنم المسلمون ما كان لهم من مال ولم تكن لهم أرضيون؛ إنما كانوا صاغرة - فأخذ رسول الله ﷺ سلاحاً كثيراً وألة صياغتهم^(٣).

٢ - إجلاء بنى النضير:

جاء في أكثر من مصدر أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلو ولا يقاتلا معه. وقبل رسول الله ﷺ ذلك منهم^(٤). وعلى الرغم من

(١) انظر الواقدي: المغازى، ج ١، ص ٧٧٧-٧٧٨؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٩٢؛ محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبوالفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) الواقدي: المغازى، ج ١، ص ٧٧٧-٧٧٨؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٢٩؛ الطبرى: تاريخ ح ٢، ص ١٨٤.

(٣) الطبرى: تاريخ، ج ٢، ص ١٨٤؛ الواقدي: المغازى، ج ١، ص ٧٩.

(٤) انظر على بن محمد التنساوي: أسباب النزول وهو ما شهنه النساء والمنسوخ لأبي النصر هبة الله بن سالماء: بيروت، دار المعرفة، د. ت، ص ١٣؛ محمد بن عمر الرازى: تفسير الفخر الرازى، المشهور بالتفسیر الكبير وذات القلب، بيروت، دار الفكر، ١٤١٨هـ، ج ٩٦، ص ٢٦٢؛ محمد بن أحمد الانصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، مطبعة دار الكتب،

وجود هذا النوع من التفاهم على التعايش السلمي بين الطوائف، فإن بعض علماء ورذلاء بني النضير كانوا يصرخون العداء لرسول الله ﷺ ولجماعة المسلمين مثل: حبيبي بن أخطب وأخوه أبي ياسر بن أخطب، وجدي بن أخطب، وسلمان بن مشكم وكنانة بن الريبع وغيرهم^(١).

ويبدو أن اليهود ببني النضير مثل بقية اليهود لم يكونوا سعداء بما أسرفوا عنه غزوة بدر من نتائج، حيث أعز الله المسلمين وكسروكـه المشركـين لذلك فما أن مضى شهران تقريراً على وقعة بدر، حتى بدأت تظهر دسائـسـ اليهود ببني النضير وتـأليـهمـ علىـ المـسـلـمـينـ.ـ ولـمـ يـلـمـ أـلـلـهـ مـعـهـ مـؤـامـرـاتـهـ المـكـشـوفـةـ ضدـ المـسـلـمـينـ فيـ المـدـيـنـةـ هـوـ ماـ حدـثـ فيـ غـزـوـةـ السـوـيـقـ^(٢).ـ فقدـ جاءـ أبوـ سـفـيـانـ عـلـىـ رـأـسـ قـوـةـ منـ فـرـسـانـ قـرـيـشـ حتـىـ نـزـلـ بـالـقـرـبـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ،ـ ثـمـ تـوـجـهـ إـلـىـ بـنـ بـنـيـ النـضـيرـ حـيـثـ أـسـتـقـبـلـهـ سـيـدـهـ وـصـاحـبـ كـنـزـهـ حـيـنـذـاكـ سـلـامـ بـنـ مـشـكـمـ،ـ فـقـرـاهـ وـسـقاـهـ وـكـشـفـ لـهـ عـنـ خـبـرـ الـمـسـلـمـينـ.ـ فـبـعـثـ أـبـوـ سـفـيـانـ رـجـالـاـ مـنـ فـرـسـانـهـ فـهـاـثـاـ فـسـادـاـ يـقـيـعـ بـعـضـ نـخـيلـ الـمـدـيـنـةـ وـقـتـلـوـ رـجـالـاـ مـنـ الـأـنـصـارـ وـحـلـيـفـاـ لـهـ.ـ فـمـاـ أـنـ عـلـمـ بـهـمـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ حتـىـ سـارـ يـقـيـعـ طـلـبـهـ فـبـلـغـ قـرـقـرـةـ الـكـدـرـ وـلـكـنـ الـقـوـمـ فـاتـوـهـ بـعـدـ أـنـ تـخـفـفـوـ مـاـ كـانـواـ يـحـصـلـوـنـ مـنـ أـزـوـادـ السـوـيـقـ.ـ فـسـمـيـتـ تـالـكـ الغـزـوـةـ غـزـوـةـ السـوـيـقـ^(٣).

ثم إن كعب بن الأشرف وهو أحد سادة بني النضير، شرق بريقه وأغاظله نصر الله المسلمين في بدر، فذهب إلى مكة مغاضباً ومحضاً قريشاً على رسول

(١) ذكر ابن إسحاق أسماء إشـ، عشر رجـالـ منـ يـهـودـ بـنـيـ النـضـيرـ،ـ كـانـواـ يـاـنـاصـبـونـ الرـسـوـلـ ﷺـ العـدـاءـ.ـ انـظـرـ ابنـ هـشـامـ:ـ السـيـرـةـ،ـ جـ ٢ـ،ـ صـ ١٦ـ.

(٢) السـوقـ:ـ طـعـامـ يـتـاخـذـ مـنـ مـدـقـقـ الحـنـطةـ وـالـشـعـيرـ،ـ سـمـىـ بـذـلـكـ لـإـنـسـيـاقـهـ يـقـيـعـ بـالـحلـقـ.ـ انـظـرـ المـعـجمـ الـوـسـيـطـ،ـ إـعـدـادـ مـجـمـعـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ بـمـصـرـ،ـ إـشـرـافـ:ـ عـبـدـ الـسـلـامـ هـارـونـ،ـ طـهـرانـ،ـ الـمـكـتـبـةـ الـلـامـيـةـ،ـ دـ.ـ تـ،ـ صـ ٦٧ـ؛ـ وـقـرـقـرـةـ الـكـدـرـ:ـ مـوـضـعـ بـيـنـ الصـوـيـدـ وـالـحـنـاكـيـةـ بـاتـجـاهـ الـقـصـيمـ الـبـلـادـيـ:ـ مـعـجمـ الـمـالـمـ،ـ صـ ٦٢ـ.

(٣) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٦٤ - ٦٩؛ الواقدي: المغازى، ج ١، ص ١٨١ - ١٨٢.

الله وال المسلمين، فأمر رسول الله باغتياله عند عودته من مكة إلى المدينة^(١). وكان مقتله في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة^(٢).

وليس من المستبعد أن تحرير ابن الأشرف لتربيش على رسول الله هو الذي دفع بها إلى أن تكتب كتاباً إلى اليهود، تستعديهم على رسول الله والمسلمين، فقد جاء عند الزهري أن قدشاً كتبت إلى اليهود بعد وقعة بدر: "أنكم أهل الحلقة والمحصون، وأنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذلك وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم، أي - الخلاخل - شيء". فلما بلغ كتابهم اليهود، أجمعوا بنو النضير على الغدر، فأرسلت إلى النبي ﷺ أن أخرج إلينا في ثلاثة رجالاً من أصحابك ولنخرج في ثلاثة حبراً حتى نلتقي في مكان كذلك، ثالثين رجالاً من أصحابك ولنخرج في ثلاثة حبراً حتى نلتقي في مكان كذلك^(٣). نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدقوك وأمنوا بك آمنا كذلك^(٤).

وفي نهاية الرواية يكتشف الرسول ﷺ نية الغدر لدى بنى النضير في حاصرهم بالكتائب في اليوم الثاني، ويقول لهم: "لا تأمنون عني إلا بعهد تعاهدي عليه"، فنأوا عليه ذلك، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء^(٥).

الملاحظ هنا أن هذه الرواية وإن كانت لا تخلي من القيمة التاريخية من حيث إشارتها إلى التآمر فيما بين قريش وبني النضير ضد النبي ﷺ، وإن المسلمين إلا أنها لا تخلي من إشكال لأنها تجعل وقت إجلاء بنى النضير بعد بدر وقبل أحد وهذا يخالف المشهور حيث أن المتوارد في الروايات التاريخية أن وقعة بيبي النضير وجلائهم كانتا بعد أحد، أي في أوائل السنة الرابعة للهجرة^(٦).

(١) ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٤٥٤-٥٦؛ الواقدي: المغازى، ج ١، ص ١٨٤-

(٢) الواقدي: المغازى، ج ١، ص ١٨١؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ١٣؛ الطبرى: تاريخ، ج ٢، ص ٧٨٤.

(٣) محمد بن شهاب الزهري: المغازى الثانية، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٤هـ / ١٩٩١م، ص ٧٣-٧٣.

(٤) الزهري: المغازى، ص ٧٣؛ ابن حجر العسقلانى: فتح الباري، ج ٧، ص ٢١٤.

(٥) J. M. B. Jones, "The Chronology of the Maghazi" Atextual Survey, BSOAS, vol xix (1957) pp.245-280, p.249m p.268.

وذكر موسى بن عقبة سببين متعارضين لغزوة الرسول ﷺ لبني النضير أحدهما: أن الرسول ﷺ خرج يستعين ببني النضير في دية الكلابيين^(١)، والسبب الثاني: أن بني النضير كانوا قد دسوا إلى قريش حين نزلوا أحد^(٢) (أهـ) لقتال رسول الله ﷺ فحضرتهم على القتال ولداتهم على العورة^(٣). فلما كلامهم (رسول الله ﷺ) في دية الكلابيين قالوا: "إجلس يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك ونقوم ونتشارد ونصلح أمرنا فيما جئتنا له". ثم يذكر في نهاية الرواية أن بني النضير تآمروا على قتل رسول الله ﷺ، وأن الله أوحى النبيه بنية خدرهم فغادر المكان، وعاد إلى المدينة، وأن الله أمر رسوله بإجلائهم وإخراجهم من ديارهم فمضى رسول الله ﷺ لأمر الله تعالى فيهم فحاصرهم، ثم قاضاهم على أن يجلهم وملهم أن يتحملوا بما استقلت به الإبل من الذي كان لهم إلا ما كان من حلة أو سلاط. وكان إجلاء بني النضير في المحرم من السنة الثالثة للهجرة.

وكمما هو واضح فإن هذه الرواية تختلف اختلافاً بيناً عن الروايات السابقة فيما يتعلق ببراعث غزوة بني النضير فأحد البراعث هو طلب الرسول منهم إعانته في دفع دية القتيلين الكلابيين من بني عامر. أما الآخر فهو انحياز بني النضير

= لدى محمد بن محمد العواجي؛ مرويات الإمام الزهرى في المغازى، الطبعة الأولى، المدينة، عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥هـ / ١٩٠٠م، ج ١، ص ٦٧٤ - ٦٧٣؛ ويميل العواجي إلى أن غزوة بني النضير كانت قبل أحد وبعد بدر بستة أشهر كما قال الزهرى، ج ١، ص ٦٢٣.

(١) الكلابيان: هما رجالان من بني عامر قتلتهما عمرو بن أمية المسمري خطأً، وكان معهما من رسول الله ﷺ أمان وجوار، فزاد الرسول ﷺ أن يدفع دينهما، فذهب إلى يهود بني النضير يستعين بهما في دفع الديمة لأنهما حلفاء لبني عامر. انظر: ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٦٥، ٦٧؛ أحمد بن علي المقرئي: إمتان الأسماع، تحقيق: محمود محمد شاكر، مصر، لجنة التأليف والترجمة، د. ت، ج ١، ص ٦٧٨.

(٢) موسى بن عقبة: المغازى، جمع ودراسة: محمد باقىتشى أبو مالك، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٩م، ص ٣١ - ٣٢؛ وقارن عروة بن الزبيز: مغازى رسول الله ﷺ، جمع وتحقيق: محمد مصطفى الأعظمى، الرياض، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، ١٤١٩هـ / ١٩٩٦م، ص ٦١ - ٦٧٥.

لجانب المشرّكين من أهل محكمة في غزوة أحد (١).

أما الرواية الأكثر شيوعاً في مصادر السيرة النبوية فقد همها ابن إسحاق، قال: ثم خرج رسول الله ﷺ في دية ذيذك القتيلين [اللوكابين] من بني عامر، و كان بين بني الذخير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ عقد لهما يسيطونهم في دية ذيذك القتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعینك على ما أحببت، مما استعنت بما عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقاموا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو هذا البيت، فيلق عليه صخرة، فيدحنا منه؟ فانزد لذلك عمرو بن جحاش بين كعب، أحدهم، فقال: أنا الذي، فنعد ليلاق الصخرة على رسول الله ﷺ كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عنهما، فأتى رسول الله - الخبر من السماء - بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استتبث النبي ﷺ أصحابه، قاما في طلبه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الفدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتحذير حرفهم والسير إليهم ^(١). لأنهم خانوه وتمروا على قتله، ولذلك فقد حاصرهم أهلهم عن المدينة بعد مصادرة ممتلكاتهم. و كان ذلك في السنة الرابعة من

وكان خروج اليهود ببني النضير من المدينة يوماً مشهوداً، فقد "استقلوا

(١) ذكر القرطبي في تفسيره لقول تعالى: «ما قطّلتم مِنْ لَيْلَةٍ» أن النبي ﷺ لما نزل على حصون بني النضير وهي - البويرة - حين نقضهم العهد بمعاونة قريش عليه يوم أحد، أمر بقطع تحيلهم

(٦) أبين هشام: *السيرة*, ج ٢، ص ١١٩؛ وذكر الوادعي: أنها في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، سعد بن أبي معاذ.

بالنساء والأباء والأموال، معهم الدغوف والمزامير، والقيان يعزفون خلفهم^(١) وجاء في وصف آخر لخروفبني النضير من المدينة "... ثم شقوا سوق المدينة والنساء في المواجر، عليهم الحرير والمديباج، وقططف الخرز الخضر والحرمر، وقد صفت لهم الناس، فجعلوا يمرون قطاراً في أثر قطار، فحملوا على ستهائة بغير... ومرروا يضربون بالدغوف ويزمرون بالمزامير وعلى النساء المصفرات وحلبي الذهب، مظهريين ذلك تجلداً ..."^(٢)

وكانت أموالبني النضير صفيلاً للرسول الله ﷺ، خالصة له، جبساً لتوأبه، ولم يخسمها ولم يسمهم لأحد، وقد أعطى ناساً من أصحابه، ووسع في الناس منها^(٣).

إن الذي يمكن استنتاجه من كل ما سبق من الروايات ضعيفها وقويتها أنها كلها تقريباً تتجه إلى اتهام اليهود ببني النضير بمحاولة الغدر برسول الله ﷺ والتأمر على حياته، بل لم تبق المؤامرة في بعض الأحيان مقصورة على حياة الرسول ولكنها تتعداه إلى تهديد أمن المسلمين في المدينة عموماً مثل حادثة غزوة السويف وكذلك موقف بني النضير مع قريش في يوم أحد، إن جاز لنا قبول هذه الرواية، وهناك بعض الروايات التي تحدث عن حصار الرسول ﷺ لبني النضير وجلاهم ولكنها لم تقدم سبباً أو تقسيراً مقبولاً لما حدث، ومثل هذه الروايات الأخيرة يصعب التسليم بها لأن الرسول ﷺ لا يمكن أن يقدم على عمل عسكري كهذا فيه طرد أقوام ومصادرة أموال بداعي رغبة شخصية خالصة لا غير، بل لا بد وأن يكون هناك أسباباً في غاية الوجاهة والخطورة دفعت الرسول ﷺ لاتخاذ مثل هذه القرارات الصعبة في حق بعض الجمادات كاليهود مثلاً، ولعل أفضل شهادة تدين بهود بني النضير، هي ما نزل فيهم من أي الذكر

(١) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ١٠٢.

(٢) الواقدي: المغاربي، ج ١، ص ص ٣٧٣ - ٥٧٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٨٥.

الحكيم، حيث نزلت عليهم سورة الحشر^(١) وعرفت عند بعض العلماء بسورة بنى النضير^(٢)، أفادت تلك السورة في بيان مساوئهم وأطهار معاييرهم ووصفتهم بالكفر وأنهم شاقوا الله ورسوله. قال تعالى: **«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ النَّبِيِّنَ كُفَّارًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَلُّوا أَهْمَمْ مَا نَعْلَمُ هُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ بِخَرْجِهِمْ بِمَوْلَاهُمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ قَاتَلُوكُمْ أَوْلَى الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَبَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَابَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَنَّذَرَ اللَّهُ عَزَّ ذِلْكَ بِأَهْمَمِ شَاقِعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمِنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ بِشَدِيدِ الْعِقَابِ»** [الحشر: ٣ - ٤] ^(٣).

إن قرار إجلاء بنبي النضير لم يكن وليدلحظة، أي لم يكن قراراً متعملاً، فالابد أنه كان نتيجة للتجاذبات مترافقاً مع انتصاره على بني النضير بدأ من انتصار الرسول ﷺ في بدر وما أعقب ذلك من نشاط بني النضير المحموم لدى قريش لإثارتها ضد المسلمين مروراً بأحد وما قاموا به من تآمر مع قريش ضد المسلمين، ثم موتهم من دية قتلى ببني عامر، وتأمرهم على اغتيال الرسول ﷺ، هذه الأسباب مجتمعة يظهر أنها كانت وراء اتخاذ قرار إجلائهم عن المدينة، لأن تعامل الرسول ﷺ معهم خلال أربع سنوات أثبت استحالة التعايش المشترك نظراً لأنهم أصبحوا خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره.

ثم لا بد من التسليم بأن قرار نفيهم عن المدينة لم يكن قراراً شخصياً اتخذه رسول الله ﷺ بمحضر إرادته ولكنه كان بتوجيهه إلى، لقوله تعالى: **«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ النَّبِيِّنَ كُفَّارًا مِّنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ»** [الحشر: ٢].

(١) النيسابوري: أسباب النزول، ص: ١٣ - ٤١.

(٢) انظر البخاري: الصحيح، ج: ٤، ص: ٧٧٤، (باب: ١١: حديث بنى النضير)، وانظر حديث رقم (٥٠٨٢) عند البخاري، كذلك عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة النضير.

(٣) انظر تفسير هذه الآيات لدى القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج: ١، ص: ١٧١.

وَمَا دَامَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَابْدُ أَنَّهُمْ قَدْ افْتَرُوا ذَبْنًا يَنْتَسِبُ وَالْعَقْوَةُ الْإِلَاهِيَّةُ
الَّتِي حَلَتْ بِهِمْ.

٣ - قضية يهودبني قريظة:

إن المصادر التاريخية التي تحدثت عن قضيةبني قريظة وما الحق بهم من نكال، لم تتفق على عدة من قتل منهم، فذكرت أرقاماً متفاوتة هي: تسعة مئة، وثمان مئة، وسبعين مئة وست مئة وخمسون، وأربع مئة، وألفاً وأربعين رجلاً. كما أختلفت كذلك في أمر السبي من النساء والأطفال، وأين كان بيدهم؟ هل تم في المدينة أم خارجها في خير وشقاء ونجد والشام؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستنظر لاحقاً في أشاء الحديث عن مصيربني قريظة. الأمر الذي يجب تأكيده عليه هنا هو أن عقوبةبني قريظة كانت مختلفة عن عقوبةبني قينقاع والنضير، وذلك حسب فداحة الجرم الذي ارتكبواه بحق المسلمين. والذي يجب ملاحظته هنا هو أن عقوبة القتلنفذت في المقابلة من يهودبني قريظة، لذلك فإن عدة من قتل منهم محل خلاف. وكذلك الأمر بالنسبة للنبي من النساء والأطفال فإن بيعهم في بعض الجهات خارج المدينة غير متفق عليه كذلك.

ولعل ما يلفت النظر هنا هو استحواذ قضيةبني قريظة على الجزء الأكبر من هذا البحث الوجيز، وذلك يعود إلى أهمية تلك القضية وخطورة العقوبة التي تربت عليها، وما تبعها لاحقاً في أدبيات الاستشراق من شجب واستنكار، لذلك كان لا بد من تفصيل القول في عقوبةبني قريظة من أجل تبيان وجه الحق.

٤ - مصيربني قريظة:

جاء في رواية عبد الوادقي، أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة صالح قريظة والنصير ومن في المدينة من اليهود على أن لا يكونوا معه ولا عليه. وبstantial صالح الجهم على أن ينصره ممن دهمه منهم ويقيموا على معاقله الأولى التي بين

الأوس والخرنخ^(١).

أما متن بدأت الأحداث تتوحد منحى خطيراً بين الجانبيين فهذا أمر ليس من السهولة تحديده بفترة زمنية معينة. وقد وردت رواية عند البخاري لا تخلو من إشكال حول تأزم الأمر بين المسلمين واليهود في المدينة وفيهم بنو قريظة فذكر سبده عن عبد الله بن عمر قال: "حاربت النضير وقريظة، فأجلتبني النضير وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساعهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم الحق بالنبي ﷺ فأنهمنهم وأسلموا، وأجلت اليهود المدينة"^(٢).

هذا الحديث كما هو واضح فيه إجمال العلاقة بين الرسول ﷺ واليهود في المدينة من جانبها السياسي وما أكمل إليه من طرد وقتل، وليس فيها إشارة لزمن محدد. أما من الناحية التاريخية فإنبني قريظة امتنعوا عن مساعدةبني النضير عندما حاصرهم رسول الله ﷺ في السنة الرابعة للهجرة. ذكر الواقدي أن ابن أبي أرسل إلى كعب بن أسد زعيم قريظة يحثه على الانضمام إلى الجانب اليهود بني النضير والوقف معهم ولكن كعباً رفض مساعدةبني النضير قائلاً: "لا ينقض منبني قريظة رجل واحد العهد. وفي رواية أخرى أنه قال: لا ينقض العهد رجل منبني قريظة وأنا حيٌّ" ^(٣). وأعتبرتهم قريظة ولم يُعنهم بسلام ولا رجال ولم يقربوهم ^(٤).

(١) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ٧٤١، (حديث: ٤٠٨٣)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٢٨٨ - ١٢٨٧، (الحديث: ٦٧٦١)؛ أبو داود: السنن، ج ٢، ص ١٧٢ - ١٧٣، (الحديث: ٥٠٠٣).

(٣) انظر الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٦٣ - ٣٦٩؛ وقارن ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٨٥.

(٤) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٣٧ - ٣٧١.

فهمني يا ترى وقعت تلك الحرب التي اشتراكك فيها قريظة والنضير في جانب المسلمين من الجانب الآخر. ثم لماذا يطرد اليهود بنى النضير نتيجة لذلك الحرب وتبقي بهود بنى قريظة.

جاء في رواية للزهري بسنده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مفادها أن اليهود من بنى النضير طلبوا مقابلة الرسول ﷺ لمحاورته في أمور دينية، وقد أصرمروا الغدر برسول الله ﷺ وعندما اطلع على نيتهم، ذهب إليهم من الغد بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: "إنكم لا تأمنون عندي، إلا بعهد تعااهدونني عليه"، فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون ثم غدا الغد على بنى قريظة بالخيل والكتائب، وترك بنى النضير، ودعاهم إلى أن يعااهدوه فعااهدوه فانصرف عنهم، وغدا إلى بنى النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على المجلاء^(١).

هذه الرواية لا تخلو من إجمال فيا ترى ما علاقة بنى قريظة بهشكالة بنى النضير مع رسول الله ﷺ ولماذا يطلب منهم رسول الله ﷺ كتابة عهد فيهما بيئهم؟ إن رواية الزهري موضع النقاش هنا ليس فيها أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى خيانة بنى قريظة أو تحالفهم مع بنى النضير.

ثم إن احتمال محاربة رسول الله ﷺ لكتاب القبيتين يعني أن يظل احتمالاً ضعيفاً ولابد من النظر لرواية الزهري مدار البحث بقدر من التحوط^(٢). لهذا فلا مناص من الافتراض أنه نتيجة لجلاء بنى النضير ومصادرة ممتلكاتهم، بدأ بنو قريظة يتوجسون خيفة من قوة المسلمين المتمامية وربما أقدموا على ما يوجب تجديد العهد معهم. فتند جاء عند ابن سعد عن حميد بن هلال أنه كان

(١) انظر: الزهري: المغازى، ص ص ٧١ - ٧٥.

(٢) حاول ابن حجر العسقلاني تفسير إشكال حديث "حاربت قريظة والنضير، فأجلب بنى النضير وأغار قريظة ... بقوله: كنا وقع تقديم قريظة على النضير وكأنه لشرفهم، والإجلاء النضير كان قبل قريظة بكثير انظر هتف المباري بشرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٠.

بين النبي ﷺ وبين قريظة " ولث من عهد " (١) والولث: هو العهد غير المحكم والمؤكد، وقيل "الولث": العهد المحكم (٢). ويديل كستر Kister إلى أن الاتفاق الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريظة، هو ولث عهد أي اتفاق غير محكم على التعايش السلمي بين الطرفين وهو أشبه ما يكون بالموادعة (٣). وعلمون أن الموادعة، تغنى المصالحة، وتغنى أيضًا ترک الحرب والأذى. ومنه الحديث: " وكان كعب القرطي موادعًا الرسول الله ﷺ " (٤).

ويبدو أن مضمون ذلك الاتفاق أو " ولث من عهد " هو ما جاء عند موسى بن عقبة في مغازيه على لسان عمرو بن سعدى القرطى (٥)، مخاطبًا قومه ببني قريظة في يوم الأحزاب: "ياً معاشر يهود إنكم قد حالفتم محمداً على ما قد علمتم أن لا تخونوه ولا تصرروا عليه عدواً وأن تتصرروه على من دهم يشرب، فألوّنوا على ما عاهدتموه عليه" (٦).

وقد يستشف من المقوله المنسوبة لعمرو بن سعدى، الأساس الذي يُنسى عليه العهد أو الموادعة بين النبي ﷺ وبين يهود بني قريظة، ويظهر في هذا العهد أو الموادعة أن هناك التزامات محددة يتبعين على اليهود القيام بها ولكنها في المقابل لا تظهر مسؤولية المسلمين تجاههم. وليس من المستبعد أن مسؤولية المسلمين تجاه يهود بني قريظة مسؤولية ضمنية أي السماح لهم بالبقاء بالمدينة مع ضمان حمايتهم من أي اعتداء.

ويبدو أن رسول الله ﷺ قد أبرم مع يهود بني قريظة أكثر من عهد، ثم

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٧٧.

(٢) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والاثر، ج ٥، ص ٢٢٣ - ٢٤٢.

(٣) Kister, M. J. "The Massacre of the Banu Qurayza" JSAL 8, 1986, p.84.

(٤) انظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والاثر، ج ٥، ص ١١٦؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة " ودع ".

(٥) انظر ترجمة عمرو بن سعدى القرطى، ابن حجر العسقلانى: الإصلاحية في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٦) موسى بن عقبة: المغازى، ص ٢١٢؛ وقارن الوادى: المغازى، ج ٢، ص ٣٠٥ - ٤٥.

يَنْهَاضُونَ، فَقَدْ جَاءَ يَنْهَاضُونَ قُولَهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْهَاضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقْبَلُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].
 قال عنها المفسرون، كان رسول الله ﷺ قد عاهد اليهود قريطة نهضوا علىه وأعادوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه ثانية، هنئضوا وأماروا الكفار يوم الخندق^(١). وجاء عند الطبرى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْهَاضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقْبَلُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

أي الذين يا محمد أخذت عهودهم ومواثيقهم لا يحاربوك ولا يظاهرو عليك محاربًا لك، كقريبة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد، ثم ينهضون عهودهم ومواثيقهم، كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله^(٢). وروى الطبرى عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنْهُمْ﴾ أنهم قريطة، أماروا على محمد أعداءه^(٣).

وهكذا يتبيّن من نصوص القرآن ومن أقوال جهابذة المفسرين أن اليهود بني قريطة قلما يحترمون عهودهم مع رسول الله ﷺ وأنهم ينهضون عهدهم في كل مرة. بل لعل إشارة المفسرين إلى مساعدة بني قريطة مشركي مكة بالسلاح أنها كانت يوم أحد، إن مثل هذه الإشارة قد تفسر تدهور علاقة المسلمين مع بني قريطة في أعقاب أحد وإجلاء بني النضير وأن الرسول ﷺ نتيجة لذلك طلب منهم كتابة عهد فيما بينهم، وهذا قد يفسر أو يزيل بعض الغموض الذي يلاحظه الباحث في رواية الزهرى التي سبقت مناقشتها. ولكن هل صمد هذا العهد طويلاً أو كما قال تعالى: ﴿أَوَكَلَّا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْدَهُ فَرَيْقٌ مِنْهُمْ بِلَ أَكْرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

(١) عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الرابعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٩م، ج ٣، ص ٧١٣-٧٣٣؛ الفخرطى: الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٤، ص ٣؛ وقارن الطبرى: جامع البيان، ج ٩، ص ٢٥-٢٧.
 (٢) الطبرى: جامع البيان، ج ٩، ص ٢٥-٢٧.

الذي فسره عطاء، أن المقصود بذلك العهد الذي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم فتنضوضها كففل قريطة والنضير^(١).

ومن الواضح أن ذلك العهد الذي أبرمه رسول ﷺ مع بنى قريطة في أعقاب أحد ولجلاء بنى النضير، لم يعمر طويلاً فقد جاء عند السيوطى إلهه بعد جلاء بنى النضير بقيت قريطة بعدهم عاماً أو عامين على عهد بينهم وبين نبى الله ﷺ فلما جاء المشركون يوم الأحزاب فقضوا العهد^(٢). أما الكيفية التي تقضى فيها العهد وما السبب وراء ذلك فهو مثبت في المصادر التاريخية، التي ناقشت غزوة الأحزاب [الخندق]، تلك التي وقعت في ذي القعدة وقيل في شوال^(٣) سنة خمس من هجرة عليه الصلاة والسلام، حيث إنها وثيقة الصلة بقريطة وقضاضها العهد وما آلت إليه أمرها أخيراً.

ويتبين من الرواية التي قدمها ابن سعد عن وقعة الأحزاب^(٤)، أن زعماء يهود بنى النضير الذين أجلوا إلى خيبر، هم الذين تزعموا حركة تحزيب الأحزاب وجمعوا قريشاً وغيرها من القبائل العربية على محاربة المسلمين في المدينة. وفي غمرة استعدادات المسلمين لمواجهة الأحزاب، حضروا خندقاً شمال المدينة فأصبحت محصنة من جهتها الشمالية، أما بقية الجهات فهي محاطة بالزارع والبيان^(٥)، إضافة إلى أن الحرار التي تحيط بالمدينة من الغرب والشرق تُعد موانئ طبيعية حيث يتغذى على الإبل والخيول إجتيازها. وكانت قبيلة بنى قريطة تقطن الجهة الجنوبية الشرقية تقريباً من المدينة، ويفترض أنها مسؤولة عن الدفع

(١) ابن الجوزي: زاد المسير، ج ١، ص ١٢١.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالتأثر، بيروت، محمد أمين دمج، د.ت، ج ١، ص ١٩٠.

(٣) انظر ابن هشام: السيرة، ج ٣، ص ٤٢٢.

(٤) انظر ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٦٥٦ - ٦٧٤.

(٥) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٦٤٤ - ٥٤.

عنها^(١). وقد استعار المسلمين من قريظة الآلات كثيرة من مساح وكرازين ومكائن يحضرون بها الخندق^(٢). ولم يقل المسلمين كثيراً على الجهة التي تقطنها قرية فقد كان كعب بن أسد القرطبي، زعيم قريظة وادع رسول الله ﷺ على شوئه وعاهده على ذلك وعاقده^(٣).

واستمرت مدة حصار الأحزاب المدينة عشرين يوماً أو أقل. فقد قيل إنها بضعة عشر يوماً وقيل عشرين يوماً، وهذا الذي رجحه الواقدى^(٤). وكانت حالة الجو وأحوال المسلمين النفسية والمعاشية حينذاك في خالية السوء، فكان حذيفة بن اليهان يقول: "لقد رأيتنا في الخندق مع رسول الله ﷺ في ليلة شديدة البرد قد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف"^(٥).

ويظهر من بعض الروايات أنه لم يقع كبير قتال بين المسلمين والشركين طيلة أيام الحصار، إلا بعض المنشاشات والمراماة المتقطعة إضافة إلى المبارزة الفردية المحدودة^(٦).

بـ - نقضبني قريظة للعهد:

يبدو أن الأحزاب استطاعوا إخراجهم بنبي قريظة بالاندماج إليهم والغدر بال المسلمين فأصبح المسلمون بين فكي الأسد كما يقال فقد ذهب حبيب بن أخطب زعيمبني النضير إلىبني قريظة وحثهم على الوقوف بجانب الأحزاب ضد

(١) الواقدى: المغازى، ج ٢، ص ٤٥٤؛ بالنسبة لمنازل يهودبني قريظة والنضير فإنهم يسكنون على وادي مدينين وهو نهر في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة والتي تعرف بالعلوي. انظر إبراهيم بن علي العياشي: المدينة بين الماضي والحاضر، الطبعة الثانية، المدينة، مكتبة الشفاف، ١٤١٤هـ / ١٩٩١م، ص ٣١-٣٣.

(٢) الواقدى: المغازى، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٣) انظر الطبرى: الجامع لأحكام القرآن، ج ٤١، ص ١٣٠.

(٤) انظر الواقدى: المغازى، ج ٢، ص ١٤٤؛ وقارن الزهرى: المغازى، ص ٧٦.

(٥) الواقدى: المغازى، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٧؛ الواقدى: المغازى، ج ٢، ص ٦٤٤-٦٧٤.

(٦) ابن هشام: السيرة، ج ٢، ص ٣٤٣-٣٤٧؛ الواقدى: المغازى، ج ٢، ص ٦٤٤-٦٧٤.

معهم أطهّهم فاضطاعوه حينئذ بالغدر بالنبي والمسلمين^(١).

معهم أطهوم فأطلاعوه حينئذ بالغدر بالنبي والمسلمين^(١).

ومن ثم نقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ وبينهم فشققه حبیب (١).

ما جاء في القرآن الكريم في تصوير ما حدث، فعندها عاد الوفد إلى رسول الله

(١) النہجۃ فی الفتاویٰ، ص ۲۸

(٢) الماقون بالفانوس، مجلد، ص ٦٥٤

(٢) الاقتاء : الثالثة ، ٢٨ ، ١٧٥٤

(3) ॥ ११ ॥

(٦) **الْأَقْدَمُ، الْأَنْدَانُ، الْأَنْدَادُ،**

(L) ۱۰۳

﴿وَأَخْبَرَهُ بِحَقِيقَةِ نَفْضِ قَرِيبَةِ الْعَهْدِ، وَشَاعَ الْخَبَرُ فِي مَعْسَكِ الْمُسْلِمِينَ، عَظِيمُ الْبَلَاءِ، وَاشْتَدَ الْخُوفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُهُمْ مِنْ فُوقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِهِمْ مِنْهُمْ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظُنْنٍ، وَنَجْمَ النَّفَاقِ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ بْنِي هَارِثَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْوَنَتَا عُورَةُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَذَنَ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إِلَى دَارَنَا، فَإِنَّهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَدِينَةِ﴾^(١). وَخَيْفٌ عَلَى الْمَذَارِيِّ وَالنِّسَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ وَجَاهُ الْعَدُوِّ، لَا يُسْتَطِعُونَ الزَّوَالَ عَنْ مَكَانِهِمْ يَعْتَقِبُونَ خَنْدَقَهُمْ وَيُحْرِسُونَهُ وَتَكَلَّمُ قَوْمٌ بِكَلَامٍ قَبِيعٍ، فَقَالَ مُعْتَبُ بْنُ قَشِيرٍ: يَعْدُنَا مُحَمَّدٌ كَنْزٌ سَرِّيٌّ وَقِصْرٌ، وَأَحَدُنَا لَا يَأْمُنُ يَنْهَبُ إِلَى حَاجَتِهِ، مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غَرُورًا﴾^(٢).

وَصَوْرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْمُؤَمِّرَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي حَاكَتْهَا الأَحْزَابُ ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا صَوْرُ أَبْلَغَ تَصْوِيرَ الْمُلْحُ النَّفَسِيِّ الَّذِي أَحاطَ بِهِمْ حَتَّى زَاغَتْ أَبْصَارُهُمْ وَلَفَتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ وَتَسَرَّبَ إِلَى نَفُوسِ بَعْضِ ضَعَافِ الإِيمَانِ مِنْهُمْ أَيُّ الْمُنَافِقِينَ سَوْءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فُوقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَكُمْ وَإِذْ رَأَيْتَ الْأَبْصَارَ وَلَكَفَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظَرُوكُمْ بِاللَّهِ الظَّانُوا هَنَالِكَ مُنْكِمٌ وَإِذْ رَأَيْتَ الْأَبْصَارَ وَلَكَفَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظَرُوكُمْ بِاللَّهِ الظَّانُوا هَنَالِكَ ابْنُ شَلِّيَ الْمُؤْمِنُونَ وَذَرْنُوكُمْ زَرْنَالا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ﴾^(٣) مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٤) [الْأَحْزَاب: ١٠ - ١٢].

اخْتَلَفَ الْمُفْسِرُونَ فِي تَحْدِيدِ الْمَقْصُودِ بِالذِّينَ جَاؤُوهُمْ مِنْ فُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ أَسْفَلِهِمْ، فَأَوْرَدَ الطَّبَرِيُّ عَدَةً أَقْتَوَالَ مِنْهُمَا، عَنْ مُجَاهِدِهِ، أَنَّ الْمَرَادَ بِالذِّينَ جَاؤُوهُمْ مِنْ فُوقِهِمْ عَيْنَةً بْنَ حَصْنِ بْنِ بَدْرٍ فِي أَهْلِ نَجْدٍ وَمِنْ أَسْفَلِهِمْ أَبُو سَفِيانَ، وَأَجْهَتْهُمْ قَرِيظَةً^(٥). وَنَقَلَ الطَّبَرِيُّ عَنْ أَبِنِ إِسْحَاقِ أَنَّ الذِّينَ جَاؤُوهُمْ مِنْ فُوقِهِمْ: قَرِيظَةُ وَالذِّينُ جَاؤُوهُمْ مِنْ أَسْفَلِهِمْ قَرِيشٌ وَغَطَّافَانَ^(٦). وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ

(١) أَبْنَ هَشَامٍ: السَّيِّدَةِ، ج٢، ص٢٣٣؛ الْوَاقِدِيُّ: الْمَفَازِيُّ، ج٢، ص٥٩٤.

(٢) الْوَاقِدِيُّ: الْمَفَازِيُّ، ج٢، ص٥٩٤ - ٦٤.

(٣) الْأَنْذَرِ الْطَّبَرِيُّ: جَامِعُ الْبَيَانِ، ج١٢، ص١٢٩؛ السَّيِّدُوْيِيُّ: الدُّرُّ الْمُنَفَّدُ، ج٥، ص٧٨١.

(٤) الطَّبَرِيُّ: جَامِعُ الْبَيَانِ، ج١٢، ص١٣١؛ أَبْنَ هَشَامٍ: السَّيِّدَةِ، ج٣، ص٢٥٧.

عن حذيفة بن اليمان قوله: لقد رأيتا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريطة أشرف ننادهم على ذرازينا^(١).

صاحب هذه الحال من الخوف والفرن التي ألمت بال المسلمين جراء تلك الأحزاب عليهم في تلك الساعة العصبية تساطل بهود بني قريطة عليهم والتحرش بهم وتهديد آطامهم التي فيها نسااؤهم وأولادهم وتهديد طرقهم وسائلتهم، يضاف إلى ذلك ما ذكرته بعض المصادر المتأخرة أن بني قريطة كانوا يهدون قريشاً في أثناء حصارها المسلمين بالتمر والشعير وحتى علف الماشية^(٢).

وهكذا في هذا الجو النفسي المشحون بالقلق والخوف، وظهور الغدر من حفاء الأمس، ببني قريطة، وظهور المناقين، على حقيقةتهم ولادتهم السافرة بالعودة إلى منازلهم بالمدينة ومجاهرتهم بتكتيقيهم الله ورسوله، بقولهم: «ما وعدنا الله ورسوله إلا خروراً» [الأحزاب: ٦١]. وأمام الإصرار العنيف لقرיש وخلفائهم على منازلة المسلمين وكسروا شوكتهم، أمام ذلك كله شعر الرسول الكريم بهول الموقف ونقل المسؤولية التي تتطلب حماية المعتقد وتأمين سلام المجتمع، ولذلك فقد قرر أن يجرب "سلاح الدبلوماسية" لعله يفلح في تفريغ جموع الأحزاب، فبدأ بمحاضة زعماء غطفان مثل حبيبة بن حصن والحارث بن عموف على أن يعطياهم تصفيّاً من تهور المدينة على أن يرجعوا بقوتهم ويخذلوا بين الأحزاب. ويبدو كذلك أن أحد مخاوفه رسول الله ﷺ لهم لم تعد سرّاً فقد علمت قريظة بذلك، وقيل إن أحد زعائدها، الزبير بن باطنا، قال: "هذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتنصرف" ^(٣). وما دامت قريطة علمت بالأمر

(١) السيوطى: المدر المنثور، ج ٥، ص ٤٨٩.

(٢) علي بن أحمد السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيس الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦/١٩٩٤م، ج ١، ص ٣٠؛ علي بن برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ج ٢، ص ٣٤٢.

(٣) الواقدى: المفارزى، ج ٢، ص ٣٨٤.

معنى دياتهم واستعدادهم للقتال.

وفي هذه الظروف بُرُزَتْ يعيم بن مسعود بن عامر الأشعري^(١) الذي قُتِلَ إِنْه
أَسْلَمَ لِيَالِيِّ الْخَنْدَقِ سَرًا دون علم قومه، وأنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَافَهُ بِتَفْرِيقِ كَلْمَةِ
الْأَحْزَابِ قَائِلًا لَهُ: "إِنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِلْنَا عَنْكَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ، فَإِنْ
الْحَرْبُ خَدْعَةٌ"^(٢). ويُظَهِرُ أَنَّ يَعِيمًا نَجَحَ فِي مساعدة وتحقِيقِ رغبةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
تَفْرِيقِ كَلْمَةِ الْأَحْزَابِ.

قال ابن سعد في روايته عن أبي نعيم: إِذْ جَاءَ لُعِيمَ بْنَ مُسْعُودَ الْأَشْجَعِيِّ وَكَانَ يَأْمُنُهُ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، فَخَذَلَ بَيْنَ النَّاسِ فَانْطَلَقَ الْأَحْزَابُ مُهْرِزَةً مِنْ خَيْرٍ فَتَالَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتْالَ^(١٣).

إِرَادَةُ اللَّهِ الْعَالِيَّةُ إِذَا اقْتَضَتْ إِرَادَتَهُ تَشْتِيتُ الْأَحزَابَ وَرَدَهُمْ عَمَّا أَرَادُوا. قَالَ تَعَالَى مُحَاطِلًا الْمُؤْمِنِينَ: ﴿كَيْفَ أَبْهَمَ الَّذِينَ أَصْنَعُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءُوكُمْ حَجَّوْدٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَحِودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الْأَخْرَابُ: ٩] (٦).

(١) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم لليه الخندق وهو الذي أوقع الخلفاء بين قرطبة وغطفان، له رواية عن النبي ﷺ، كانت وفاته في أوائل خلافة على بن أبي طالب وقيل وفي ذات عاشران، ابن حميد المسلاطنة: **الأصانة - تبيين الصحاوة**، ج ٣، ص ٦٥٧، (ت: ٢٧٧٩).

(٤) ابن هشام: *السيرة*, ج ٣, ص ٦٤٢.

(٤) إنْظَرْ تَقْسِيسَهُ هَذِهِ الْآيَةُ لِتَعْلِمُ الطَّفَلَيْنَ :

القرآن حمد ص ٢٤١

فلمّا أصبح رسول الله ﷺ بالخندق أصبح وليس بحضورته أحد من العساكر، قد هربوا وذهبوا وانشقعوا إلى بلادهم، وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك^(١).

ج - **حصاربني قريظة:**

لم يكدر النبي ﷺ يصل إلى بيته في المدينة، ويضع سلاحه ويفتسل حتى أتاه الأمر الإلهي بالمسير نحو قريظة، حدثت عائشة رضي الله عنها: أنه لما رجع النبي من الخندق، ووضع السلاح وافتسل أئمّه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه، فأخرج إليهم. قال: (إلى أيّن؟) قال: ها هنا، وأشار إلىبني قريظة، فخرج النبي ﷺ إليهم^(٢).

ولئن كان قرار مواجهة الأحزاب قراراً دفاعياً اتخذه رسول الله ﷺ لحماية المدينة من كيد قوى الشر المتحالفة فإن أمر المسير إلى قريظة، كان أمراً إليها ولا دخل لمشيئة النبي ﷺ فيه، حيث إنه منفذ لمشيئة الله، لذلك فقد أمر مناديه أن ينادي في أرجاء المدينة "لا يصلين أحد العصر إلا فيبني قريظة"^(٣). وجاء عند مسلم عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ نادى في الناس يوم انصراف الأحزاب "أن لا يصلين أحد الظهر إلا فيبني قريظة"^(٤). وسواء كانت صلاة المسلمين الظهر أو العصر فيبني قريظة فإنه مما لا خلاف فيه أنه لم تغب شمس ذلك اليوم إلا المسلمين يحاصرون قريظة في حصونهم.

وقدّم رسول الله ﷺ على بن أبي طالب برأيته إلىبني قريظة، وتلاحق به

(١) الواقدي: الماذن، ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٥١، (حديث: ٦٧٨٤).

(٣) البخاري: الصحيح، ج ٤، ص ١٥١، (حديث: ٦٧٨٣).

(٤) انظر: مسلم: صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣٩١، (حديث: ٧٧٧)؛ وقارن: ابن هشام: السيرة، حيث ذكر أن رسول الله ﷺ أمر مؤذنا في الناس: من كان ساماً مطيناً فلا يصلين العصر إلا فيبني شرطة، ج ٣، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

الناس^(١) . وكان ذلك في يوم الأربعاء السبع بتبين من ذي القعدة، قد عاهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، فأبوا أن يجربوه إلى الإسلام فحاصرهم خمسة عشر يوماً، ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس للهجرة^(٢) .

يتبين من بعض الروايات أنه لم يحدث قتال مباشر بين المسلمين والمسيحيين على المرامة بالنبل والمحارة من بعيد، إضافة إلى الحصار الذي ضربه المسلمون على حصون بني قريظة حتى أذعنوا للإسلام.

وتبين لتطبيق المسلمين الحصار عليهم ويسهم من نجدة الأحزاب لهم، قرروا المفاوضات مع النبي ﷺ رجاء حفظ دمائهم، فأنزلوا نباش بن قيس، فتكلم رسول الله ﷺ ساعة وقال: يا محمد، ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير، لما الأموال واللحقة وتحقن دماءنا، ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري، ولنا ما حملت الإبل واللحقة، فلأبي رسول الله ﷺ، فقالوا: فتحقن دماءنا وسلام لنا النساء والذراري، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فقال رسول الله ﷺ "لا، إلا أن تنزلوا على حكمي"^(٣) .

٤- استسلام بني قريظة:

فلما أصبح يهود بني قريظة في اليوم التالي، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بسراهم فكتفوا رباطاً، وجعل على كتافهم محمد بن مسلمة، ونحو ناحية، وأخرجوا النساء والذراري من الحصون، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. شتال لهم الرسول: "لا ترثون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم"^(٤)

(١) ابن هشام: السيدة، ج ٣، ص ٥٤٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٦٧٩؛ وقارن الزهري: المغازي، ص ٨٠.

(٣) ابن هشام: السيدة، ج ٣، ص ٦٤٢ - ٢٥٦؛ الواقدي: المغازي، ج ٢، ص ٦٠٥ - ٨١٠.

قالوا: بل. قال: هذاك إلى سعد بن معاذ^(١).

فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، ظلماً دنا من المسجد، قال رسول الله ﷺ للأنصار: "قوموا إلى سيدكم، أو خيركم" فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك". فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم. فقال رسول الله ﷺ: "قضيت بحکم الله"؛ وربما قال: "بحکم الملك"^(٢). وجاء في حديث آخر رواية عن عائشة أم المؤمنين، أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة هنزلوا على حكمه، فرد الحکم على سعد، قال: ظانني أحكם فيهم: "أن تقتل المقاتلة، وأن تسبي النساء والذرية وأن تقسم أموالهم"^(٣).

وجاء في رواية أخرى عن عائشة، أن رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة حمساً وعشرين ليلة، فلما اشتتد عليهم البلاء، قيل لهم: انزلوا على حکم رسول الله ﷺ. فقالوا: ننزل على حکم سعد بن معاذ ف قال لهم: انزلوا على حکم سعد، فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد فلما جاء قال له: "أحكم فيهم"، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، وتقسم أموالهم. فقال له: رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحکم الله وحكم رسوله^(٤).

وبعد صدور حکم سعد بن معاذ، استنزلوا هبسبهم رسول الله ﷺ بالمدينة فيدار بنت الحارث، امرأة من بنى النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة فخندق بها

(١) ابن هشام: السيرة، ج٣، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ وقارن الواقدي: المغازى، ج٢، ص ٩٥٠-٩٥١.

(٢) البخاري: الصحيح، ج٤، ص ١٥١، (حديث: ٢٧٧).

(٣) أبو عبد القاسم بن سلام: كتاب الأموال، تحقيق: محمد عمارة، الطبعة الأولى، بيروت، دار المشرق، ٩٤٠هـ، ص ٥٢١؛ حميد بن زنجويه: كتاب الأموال، تحقيق: شاڪر ذياب فياض، المطبعة الأولى، الريلص، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ/١٩٤١م،

١٧، ص ٣٤٣-٣٤٥؛ (الحديث: ٥٣٦)؛ وقارن الزهرى: المغازى، ص ٨١-٨٢.

خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق^(١).

واختلفت المصادر في عدد من قتل منبني قريظة، فقال موسى بن عقبة زعموا أنهم كانوا ستمائة مقاتل^(٢). وجاء عند ابن إسحاق من دون سند أنهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول بين الشهانئ والسبعين^(٣).

وشنل لنا أبو الزبير^(٤) عن جابر بن عبد الله قوله: أن بنى قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم أن يقتل رجالهم ويستحيي نسائهم يستعين بهم المسلمون. فقال رسول الله ﷺ: "أصبت حكم الله فيهم"، وكانوا أربعمائة فلما شرع من قتلهم اتفق عرقه فمات^(٥).

هذه الرواية الأخيرة، أي رواية أبي الزبير عن جابر بن عبد الله لا إشكال في سندها ولكن الجملة الأخيرة في الرواية قد تكون موضوع تساؤل، فعبارة "وكانوا أربعمائة" ليس واضحًا هل هي جزء من حدديث جابر بن عبد الله أم أنها زيادة في الإيضاح أدخلها أبو الزبير

وقريب من رواية جابر ما نقله ابن هشام عن أبي عمرو المدنى، أنه لما ظفر رسول الله ﷺ ببني قريظة أخذ منهم نحوًا من أربعمائة رجل من اليهود فأمر بأن تضرب أعناقهم^(٦)، وهي رواية - إضافة إلى انقطاع سندها - لا تخلو من

(١) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ٢٥١ - ٢٥٢. وبنى الحارث: هي رملة بنت الحارث بن خليلة بن زيد الأنصارية النجارية، ورد ذكرها بين المبادرات لرسول الله ﷺ وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. انظر ابن حجر العسقلاني: الإصلاحية في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٥٣٠، (ت: ٣٢٤).

(٢) موسى بن عقبة: المغازي، ص ٢٦٣.

(٣) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٤) انظر ترجمة أبي الزبير عند ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، تحقيق خليل مأمون شيخنا وأخرون، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٣٢٦ - ٣٢٥.

(٥) لمزيد من الإطلاع على الأقوال المختلفة بشأن عدد قتلى بنى قريظة، انظر: M. J. Kister. "The Massacre of the Banu Qurayza" p.89.

(٦) ابن هشام: المسيرة، ج ٣، ص ٣٦.

إشكال فيما يتعلق بعدد من قتل من يهودبني قريظة، فإذا كان الرسول ﷺ قد أخذ منهم أربعين، وأمر بضرب رقبتهم فكم يكون عدد الذين من عليهم، ثم أين حكمة سعد بن معاذ التي تحدثت عنها مصادر السيرة والسنّة على السواعده

أما الرواية الأخيرة بقصد هذا الموضوع فهي رواية الزهرى، قال ابن زنجويه: "شَا عَبْدُ اللَّهِ بْنَ صَالِحَ حَدَثَنِي الْلَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَثَنِي عَقِيلٌ^(١) عَنْ أَبِنِ شَهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَدَا إِلَى بَنِي قَرِيظَةَ، فَحَاقَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَكْمِ سَعْدٍ بْنِ مَعاذَ فَقَضَى بِأَنْ يُقْتَلَ رِجَالُهُمْ، وَتَقْسِمَ ذَرَارِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ بِيَمْنَى أَرْبَعُونَ رِجَالًا، إِلَّا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لَسْعَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالْوَفَاءِ وَيَنْهَا عَنِ الْغَدَرِ؛ فَلَذِكَ نَجَا"^(٢).

ومما قد يشجع على قبول هذه الرواية أنها صحيحة الإسناد إلى الزهرى: ولم يقد المحدثون في عقيل بن خالد راوية الزهرى المباشر إضافة إلى أن العدد "أربعون" ربما يكون أقرب إلى الواقع ويجب كذلك ملاحظة سهولة تحرير العدد من "أربعين" إلى الأربعين، وإذا أعيد النظر في رواية أبي عمرو المدائى المتصلة بأخذ النبي ﷺ أربعين من اليهود، وقوبلت مع رواية الزهرى، جاز الفرض أن رواية أبي عمرو قد تعرضت للتحريف فأصبح الأربعون أربعين، وهذا أمر ليس نادر الحدوث، علمًا أن القول "فأخذ منهم أربعين" أقرب إلى المنطق من الأربعين إذ أن ذلك ربما ينصرف إلى عدد القتيلين منهم ليس غيره.

في ضوء هذه التقديرات المترادفة حول عدد من ثُقِّلتُ فيهم عقوبة الموت من يهود بنى قريظة، لا يمكن الافتراض أن العقوبة لم تكون جماعية أي ربما أنها

(١) انظر ترجمة عقيل بن خالد بن عقيل الألبى عند ابن رجب العسقلانى: تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ١٩٣، (حديث: ١٠٣)، ص ٦٢١، (حديث: ٩٤٣). وذكر محقق كتاب الأموال في حاشية ص ١٩١: "أنه ورد في النسخة الشامية بذلة (الأربعون وسبعين)، وله أهان النسخة المصرية كذلك: وقال إنها نسخة ابن بادى".

اقتصرت على من باشروا القتال ضد المسلمين فحسب، وأن العدد الأكبر منهم نجا من الموت وإذا كان هذا الفرض جائزًا فهذا كان مصيرهم؟ لا يحتمل أن النبي ﷺ قد أجلأهم عن المدينة؟

إنه احتمال قريب. وإذا كان هذا الاحتمال مقبولاً فإنه من المبالغة القول أن النبي ﷺ قد أوقع القتل في جميع رجال بني قريظة، ولعل الأقرب إلى الصواب أن من قتل منهم كانوا ثلاثة أي ربما كانوا أربعين رجالاً، أما بقيتهم فقد أجلأوا من المدينة.

أما ما قيل عن النبي من النساء والأطفال وأنهم بيعوا خارج الحجاز فيحتمل أن المقصود بهم عائلات أولئك الذين نفذ فنفهم حكم القتل. علمًا بأن ما قيل عن الأماكن التي نقلوا إليها وبيعوا فيها محل خلاف^(١).

ومهما كان الاختلاف في عدد من قتل من بني قريظة. وهم الذين ارتكبوا الخيانة العظمى في وقت الحرب ضد الدولة التي يعيشون في ظلها فإن ذلك لا يقارن بالمذابح التي ارتكبها الصليبيون في حق المسلمين بالمسجد الأقصى سنة ٩٦٤هـ ولا يقارن كذلك بالمذابح التي ارتكبها اليهود ضد الفلسطينيين في دير ياسين وغيرها من القرى (٦٤ - ٨٤١م) ولا كذلك المذابح التي أقدم عليها المتصرب في البوسنة قبل سنتين خلت في حق أكثر من (٨ الآلاف) مسلم وذلك تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها وفي قلب ما يطلق عليه العالم المتحضر أي أوروبا وهي مذابح لا يمكن تسويفها ولا الدافع عنها.

وأخيراً يظل السؤال المتعلق بإجلاء النبي ﷺ لليهود عن المدينة قائماً. أي هل قام ﷺ بإجلاء كل يهودي بالمدينة أم أن الإجلاء اقتصر على ذوي الخططر منهم؟ أي القبائل الثلاث موضوع هذا البحث؟ إجمالاً فإن الوقائع التاريخية تشير بوضوح إلى أن الإجلاء اقتصر على

(١) انظر محمد الجميل: النبي ﷺ ويهود المدينة، ص ٢٥١ - ٢٢٦.

القبائل اليهودية الثلاث؛ أي قيئقان والنضير ومن كتبت له النجاة من بنى قريطة. أما اليهود الذين لم يضرموا العداوة المسلمين فقد ظلوا في المدينة دون أن يمسهم أذى. بل إن أحد زعماء يهودبني قيئقان حسب إحدى الروايات المعروفة بين الثابتات قد ظل في المدينة حتى وفاته في السنة السادسة من الهجرة ولم يرحل مع قومه الذين أجالهم النبي ﷺ عن المدينة في أو أخر السنة الثانية من الهجرة ^(١). وفي أثناء استعدادات المسلمين لغزو خيبر في السنة السابعة من الهجرة كان بعض اليهود في المدينة يشطرون من عرائم المسلمين ويخوفونهم من يهود خيبر فقد جاء عند الوادقي قوله: "فَلَمَا تَجَهَّزَ النَّاسُ إِلَى خَيْبَرِ شَقِّ دَلَكَ عَلَى يَهُودِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ هُم مَوَادُ عَوْنَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمْ بَيْقَ أَحَدٌ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ لَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَقٌّ إِلَّا لَزْمَهُ ..." ^(٢).

وقال أبو الشحم اليهودي مخاطباً أحد أصحاب رسول ﷺ: "تحسب أن هؤال خيبر مثل ما تلقونه من الأعراب؟ ففيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل" ^(٣). وحتى في غمرة استعداد المسلمين للخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة كان لا يزال في المدينة بعض اليهود الذين أخذوا يشطرون المسلمين عن الخروج مع رسول الله ﷺ ويخذلون الناس عنه، ومن أولئك سليم اليهودي إذ جعل من بيته مأوى للمنافقين ^(٤). وعندما عسىكر رسول الله ﷺ بخيشه المتوجه إلى تبوك في ثنية الوداع، أقبل عبد الله ابن أبي أحد سادة الخرز ورأس المنافقين أقبل بعسركه فحضره بحذاه جيش المسلمين ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين. فكان

(١) انظر ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص٤٣؛ وقارن الوادقي: المغازى، جـ٢، ص٢٣؛ وانظر البلاذري، أحمد بن يحيى البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة: دار المعارف، جـ٢، ص٥٢٨، حيث ذكر في هذا الموضع أن رفاعة بن الثابت من يهودبني قريطة.

(٢) انظر الوادقي: المغازى، جـ٢، ص٣٦؛ وقارن ابن سعد: الطبقات، جـ٢، ص١٠.

(٣) الوادقي: المغازى، جـ٢، ص٣٦.

(٤) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص٧٦ - ٧١.

يقال: ليس عسكراً ابن أبي بأقل العسكرين^(١). واضح ما في تقدير عدد أتباع ابن أبي من مبالغة ولكن المهم هنا هو الإشارة إلى وجود اليهود في المدينة في السنة التاسعة من الهجرة وكانوا من حيث العدد والقوة أن استعن بهم ابن أبي.

وجاء في رواية عن أبي هريرة ر بما كان حدوثها ما بين السنة السادسة والعشرة من الهجرة، قال فيها: "بینما نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ، فقال: "أنطلقوا إلى يهود" فخرجن حتى جئنا بيت المدراس فقال: "اسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وأنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً ثالبيعه، والإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله"^(٢).

وعلى كلِّ فإنَّ أحداث السيرة لم تشر إلى أنَّ الرسول ﷺ قد أجلسَ يهوداً من المدينة بعد السنة الخامسة من الهجرة لذلِكَ فليس من المستبعد أنَّ ما جاء في روایة أبي هریرة بقى مجرد إندثار لم ينفذ. ولو كان قد وقع لاطبیت مصادر السیرة في الحديث عنه.

ولعل من الطريف في أمر العلاقة بين النبي ﷺ واليهود في المدينة هو ما جاء عن أم المؤمنين عائشة، قالت: "توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بشلانين صاحباً من شعير"^(٣).

إن تعامل النبي ﷺ مع اليهود ربما كان إشارة مقصودة منه الغرض منها الإيحاء لل المسلمين في المدينة وغيرها بعدم مقاطعة اليهود أو عزلهم مما دام أنهم غير

(١) انظر الوقداني: المغازى، ج ٣، ص ٩٩٥-٩٩٩؛ وقارن ابن هشام: السيرة، ج ١، ص ٣٧٦.

(٢) البخاري: الصحيح، ج ٣، ص ٥٥٥-٥٥٦؛ وقارن ابن هشام: السيرة، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٣) البخاري: الصحيح، ج ٣، ص ٦١٠، (ج: ٧٥٩٧٢)؛ وقارن الترمذى: الجامع الصحيح (سنن الترمذى)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، مصر، مطبعة الحلبى، ١٩٦١-١١٥، (ج: ٤١٢١، ٤١٢١). كثما هو واضح، فقد ورد حديث رهن الدرع موشاً من ص ص ٥١-١١٥، (ج: ٤١٢١، ٤١٢١). قبل أئمة الحديث، ولا مجال للطعن فيه، ولكن لا يأس من التساؤل عن ذنبه رسول الله ﷺ وأهل بيته من غنائم خير وفدى؛ لأن ذلك على وجه الخصوص كانت خالصة لرسول الله ﷺ.

محاربين؛ بل إنه لا بأس بالإختلط بهم في أمور البيع والشراء وما شابه ذلك من ضرورات التعايش تأسياً برسول الله ﷺ وأمثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾ [الأحزاب: من الآية ٢١].

الخاتمة:

خلاصة ما سبق يمكّن القول أنه من تتبع العلاقة بين النبي ﷺ والقبائل اليهودية في المدينة يظهر بوضوح أنه، لم يكن لدى رسول الله ﷺ سياسة مرسومة، تجاه اليهود أو نبه مبتهة لاجلائهم، بل كان على استعداد تام للتعايش معهم ما داموا مسلمين. والذي قام به رسول الله ﷺ تجاه تلك القبائل أخيراً ما هو إلا ردود أفعال لما كانوا يقولون به من خيانة وتحريض وعدوان على المسلمين.

فبنوا قيئق امثلاً أجروا من المدينة بسبب تدخلهم الفج في شؤون المجتمع المسلم بالمدينة والمتمثل بالتعريش بين المسلمين والسعى الموقعة بينهم والتحدي السافر لمشاعرهم. وكذلك الأمر فيما يتعلق بيهودبني النضير الذين ظلماً تعاونوا مع قريش ضد المسلمين وتآمروا على حياة الرسول ﷺ والتخطيط لاغتياله، كل هذه الأسباب كانت وراء إجلائهم.

أما يهودبني قريظة فإن ما نزل بهم من عقوبة كان نظير خيانتهم العظمى للأمة وقت الحرب ووقوفهم بجانب الأحزاب في ساعة عصبية واجهت فيها الأمة خطر الإبادة والقضاء على الإسلام ودولته جراء تلك المؤامرة الدينية. وعلى الرغم من ذلك فإن عقوبة القتل لم تكن عقوبة جماعية بل نفذت في فريق منهم وكذاك الأمر فيما يتصل بالسببي، هليس من المستبعد أن من وقع عليهم السببي هم عائلات أولئك الذين قتلوا، أما البقية فلا بد وأنهم أُجلوا عن المدينة.

لذلك فإن إجلاء القبائل اليهودية الثلاث عن المدينة لم يكن بسبب كونهم من بني إسرائيل أو بسبب دينهم اليهودية ولا كذلك بسبب الرغبة في الاستحواذ على ممتلكاتهم وأموالهم بل بسبب تجاوزاتهم الخطيرة، بدليل أن بقية الجماعات اليهودية التي لم تضمر كيداً للمسلمين ولا عداء وظلوا موادعين أو فياء لمعهودهم بتقا في المدينة يمارسون حياتهم بأمن وسلام حتى بعد وفاة رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشر للهجرة.

هذا ما أدى إليه الاجتهد والله أعلم بالصواب.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن إسحاق، محمد المطعني، السير والمغازي: تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى، د.م، دار الفكر، ١٩٢٩١هـ / ١٧٧٤م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، تحقيق عبد المستوار أحمد فراج، بيروت، دار الثقافة، ١٩٣٨هـ / ١٩٦٠م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الرابعة، دمشق وبيروت، دار ابن كثير واليهامة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٠م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ج.
- الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو سنتن الترمذى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ط٣، مصر، مكتبة الحلبي، ١٩٣٦هـ / ١٩٧٦م، ج٣.
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملائين، ١٩٨٠م.
- ابن الجوزى، عبد الرحمن بن علي: زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الرابعة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٧هـ / ١٩٨٤م.
- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلانى: الإصابة في تهذيب الصحابة، وبها مشته الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر التميمي القرطبي، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بمصر سنة ٢٢٣٢هـ، بيروت، دار صادر، د.ت.
- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلانى: تهذيب التهذيب، تحقيق: خليل مأمون

- شبيحا وأخرين، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز ابن باز ومحمد فوزاد عبد الباقى، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد: المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د. ت.
- الحلبى، علي بن برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية في سيرة الأميين المؤمنون، دار المعرفة: د. م، د. ت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سُنن أبي داود، تحقيق كمال يوسف المحivot، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن: الإشتقال، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ابن رسته، علي بن أحمد بن عمر: الأعلاق الفقيحة، وبنديله كتاب البلدان، تأليف أحمد بن يعقوب اليعقوبي، ليدن، برلين، ١٩٨٢م.
- المرازي، محمد بن عمر: تفسير الفخر الرazi، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغريب، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ.
- ابن زنجويه، حميد: كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٩م.
- الزهرى، محمد بن مسلم بن شهاب: المذاي النبوية، تحقيق سهيل زكار، المطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م.

- ابن سعد، محمد بن منيع البصري: *كتاب الطبقات الكبير*، بيروت، دار صادر، د. ت.
- السمهودي، علي بن أحمد: *وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى*، تحقيق محمد محبي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨١م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالتأثر، بيروت: محمد أمين دمج.
- الطبّي، محمد بن جرير: *تاریخ الرسل والملوک*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار المعارف، د. ت.
- جامع البيان عن تأویل آی القرآن، بيروت، دار الفكر، ٨٠٤هـ / ١٩٩٨م.
- أبو عبید، الشاسم بن سلام: *كتاب الأموال*، تحقيق محمد عماره، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشرق، ٩٤٠هـ.
- عروة بن الزبیر: *مفازی رسول الله ﷺ*، جمع وتحقيق محمد المصطفى الأعظمي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: *الجامع لأحكام القرآن*، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٢٦هـ / ١٩٤٧م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: *صحیح مسلم*، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقی، بيروت، دار الفكر، ٣٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- موسى بن عقبة: *المغازي*، جمع ودراسة وتحقيق: محمد باقشيش أبو مالك، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩١م.
- النسباري، علي بن أحمد: *أسباب النزول وبها مشه الناسخ والمنسوخ الأربع*، القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر، بيروت، دار المعرفة.

- الواقدي، محمد بن عمر: المغازي، تحقيق مارسلدن جونز، الطبعة الثالثة، بيروت، عالم الكتب، ٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
- ولفسنون، إسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب، مصر: مطبعة الاعتماد، ٥٤٣ هـ / ١٩٧٧ م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري: السيرة النبوة، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب: تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار بيروت، ٤٠٤ هـ.
- Ahmad, barakat. Muhammad and the Jews: A re-examination (New Delhi: 1957) Andrae, Tor.
- Gil, Moshe. "The Origin of the Jews of Yathrib" ISAI. 4, (1984) pp.203-224.
- Jones, J. M. B. "The Chronology of the Maghazi., Atextual Survey" BSOAS Vol? XIX (London: 1957) pp.245 - 280.
- Kister, M. J. "The Massacre of the Banu Qurayza. A re-examination of the tradition" ISAI, 8, (1986). pp.61-98.